المحاضرة الثالثة : الوقائع الاقتصادية في العالم مرحلة العصور الوسطى

تمهيد :

عرفت فترة العصور الوسطى وجود عالمين متمايزين تماما ،عالما عربيا وإسلاميا نشطا اقتصاديا وفنيا حاملا مشعل الثقافة والحضارة، وعالما غربيا يعيش عيشة اقتصادية مغلقة متقطع الصلة بالعالم الخارجي. لذلك قسمت مرحلة العصور الوسطى إلى العالم الغربي والعالم الإسلامي.

أولا: الوقائع الاقتصادية في العالم الغربي :عرف العالم الغربي خلال مرحلة العصور الوسطى وجود نظامين هما النظام الإقطاعي و النظام الحرفي.

1- النظام الإقطاعي : هو الشكل التنظيمي لنشاط الزراعة نشأ على إثر سقوط الإمبراطورية الرومانية وزوال نظام الرق والعبودية الذي كان سائدا في العصور القديمة، حيث سيطرت القبائل الجرمانية على كل الممتلكات، وبرزت إلى الوجود حكومات عديدة يقودها ملوك من هذه القبائل استولوا على الأراضي المهجورة وزرعوها فيما بينهم، كما سيطروا على أراضي الفلاحين الأحرار الذين تحولوا مع مرور الوقت إلى فلاحين أقنان (عبيد الأرض).

1-1- السمات الأساسية لأسلوب الإنتاج الإقطاعي :يتميز النظام الإقطاعي بما يلي:

أ- يقوم النظام الإقطاعي على أساس تركز الملكية العقارية للأراضي الزراعية في أيدي فئة قليلة من الأشراف والنبلاء والحكام....الذي يعملون كعبيد أو بالأجر.

ب- تمثل الإقطاعية وحدة اقتصادية واجتماعية تقوم على الإنتاج الطبيعي وتهدف على الأقل في المراحل الأولى إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي.

ج - إحياء الإنتاج الحرفي الذي دمرته القبائل الجرمانية، حيث ما إن استقر النظام الإقطاعي حتى بعث الإنتاج الحرفي من جديد لتوفير احتياجات الإقطاعيين من الألبسة والأسلحة، إلا أنه كان بدائيا وكانت أغلبية الحرف تمارس في البيوت وحسب الطلب.

د - سيطر في النظام الإقطاعي قانون اقتصادي أساسي يقوم على إنتاج المزيد من المنتوج الإضافي بجهد الفلاحين ليستولي عليه الإقطاعي في صورة ريع الأرض، وعملية التوزيع تتم من خلال تقسيم الإنتاج إلى جزئيين بين الإقطاعي والفلاح.

1-2- انهيار النظام الإقطاعي :هناك عدة أسباب أدت إلى انهيار النظام الإقطاعي ،نذكر منها:

أ- ظهور النقود وتطور الريع من سخري إلى عيني إلى نقدي، مما ساعد على توسيع ملكية الفلاحين لأدوات الإنتاج، فتغيرت العلاقة بين الإقطاعي والفلاح من علاقة سيد ومسود إلى علاقة تشبه إلى حد ما العلاقة بين المالك والمستأجر.

ب - التطور الحاصل في قوى الإنتاج نتيجة التقدم الفني والتقني في نهاية العهد الإقطاعي، كاستخدام فن استصلاح الأراضي وإدخال علوم الكيمياء والطب والفيزياء ومختلف فنون البناء وانتشار استخدام الطاقة المائية والهوائية الزراعي،...كل هذا انعكس في صورة زيادة إنتاجية القطاع الزراعي.

ج - نمو التجارة الخارجية وازدياد تشكيل رأس المال التجاري.

د - لم تعد الحرفة الضيقة في المجتمع الإقطاعي تستجيب للطلبات المتزايدة مما استدعى إنشاء الصناعات الرأسمالية التي ساهم فيها التجار عن طريق تحويل رأس مالهم التجاري إلى رأس المال الصناعي.

2- النظام الطائفي (الحرفي):

يعتبر النظام الطائفي الشكل التنظيمي للنشاط التجاري والحرفي ظهر في القرن 13م واستمر حتى 18م، وتمركز في المدن حيث يعد بمثابة تفويض من النظام الإقطاعي فهو التطور الطبيعي له، فلولا تطور علاقات الإنتاج واتساع النشاط الزراعي وزيادة الإنتاجية وزيادة دخول المزارعين، مما ترجم في زيادة الطلب على السلع المصنعة لما كان أي دافع لظهور النظام الطائفي، فنظام الطوائف عبارة عن الشكل التنظيمي للنشاط التجاري والحرفي، ونظرا لزيادة عدد سكان المدن ومن ثم زيادة الطلب على منتجات الحرفيين وازدياد عددهم استلزم ذلك تكوين نقابات وروابط مهنية تدافع عن حقوقهم،إلا أنها أصبحت تضع شروطا قاسية تحد من حرية التجارة والصناعة

2-1- خصائص النظام الحرفي :

أ- تجمع أرباب الحرفة الواحدة في طائفة مهنية واحدة يرأسها رئيس يتم انتخابه.

ب - تجمع عناصر الإنتاج من عمل ورأس مال وموارد طبيعية في يد شخص واحد وكان الإنتاج يتم حسب طلب مسبق.

ج - تميز الفن الإنتاجي بالبساطة لاقتصاره على استخدام الأدوات اليدوية مما أدى إلى عدم تطوره .

2-2 - انحلال النظام الطائفي :

ابتداء من منتصف القرن 19 اضمحلت النقابات الطائفية نتيجة إلى عدة أسباب أهمها :

أ - عدم التقدم الصناعي.

ب - التساوي في السوق.

ج - التقييد في أدوات الإنتاج وعدد العمال.

د - الشروط القاسية التي وضعت أمام العمال والتي كانت تقاوم كل جديد في طرق الصناعة وتعمل على تضييق سبل العمل أمام الصناع رغبة منها في تحديد الإنتاج.

ثانيا :الوقائع الاقتصادية في العالم العربي الإسلامي :

تميز العالم العربي بعدة حضارات قديمة اختلفت باختلاف الأزمنة وتعاقبها وأدت إلى تقسيم التاريخ العربي الإسلامي إلى محطات رئيسية نذكرها فيما يلي :

- مرحلة ما قبل الإسلام.
- مرحلة صدر الإسلام.
-المرحلة الأموية والعباسية.
- مرحلة الانهيار.

1- المرحلة الأولى : مرحلة ما قبل الإسلام

كان المجتمع العربي قبل ظهور الإسلام يعيش حياة قبلية تميزت بسيطرة المنطق القبلي على النشاط الاقتصادي والاجتماعي، وكان المجتمع العربي يعيش حياة بدوية ويمارس النشاط التجاري خاصة قبيلة قريش كانت تسعى للسيطرة على التجار من خلال صراعها مع الإمبراطوريات المجاورة لها حول الطرق المؤدية إلى الأسواق الخارجية مثل: سوق الشام واليمن، وتزامنت هذه الظروف مع انحلال النظام البدائي وزواله في القرن 6 ميلادي حيث تحول المجتمع العربي من مجتمع بدوي إلى مجتمع زراعي وتجاري (التجارة تمارس في مكة والزراعة تمارس في المدينة) وأدى هذا التحول إلى نمو رؤوس الأموال من جهة واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء من جهة أخرى مما أدى إلى تراجع روح الانتماء، والروابط الجماعية بين أفراد القبيلة.

2- المرحلة الثانية : مرحلة صدر الإسلام

يعتبر ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية كثورة على الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كانت تسود حولها فأصبح المجتمع أمة بعدما كان قبيلة فحل الإسلام والإيمان محل الشرك والوثنية وصارت العدالة والمساواة شعار المجتمع، اقتصاديا واجتماعيا، وظهرت بعد ذلك دولة حديثة تقوم على أساس الشورى وتنظيم إيرادات الخزينة مثل الزكاة، الخراج والجزية وهو ما أدى إلى تطور الحضارة العربية والإسلامية بشكل سريع لتصبح إمبراطورية قوية ولها مكانتها عالميا، وتميزت هذه الفترة بتطور طرق الإنتاج الزراعي وتنوع المحاصيل مثل : زراعة القطن والأرز بسوريا والعراق، واستيراد أنواع من الفواكه من البلدان الأجنبية وزراعتها بالبلاد العربية.

كما عرفت الصناعة تطور في وسائل الإنتاج مثل : أدوات الغزل والنسيج وصناعة الزجاج والعطور وغيرها وبالتالي بدأ يظهر التخصص في الإنتاج في المدن وأصبح الدينار العربي عملة الإنتاج المتداولة حتى في البلدان الأجنبية كأول شكل من أشكال التداول النقدي العالمي في التاريخ

3- المرحلة الثالثة :المرحلة الأموية والعباسية

عرف العالم العربي خلال هذه الفترة توسع الفتوحات الإسلامية مما أدى إلى توسع الأراضي الزراعية المستثمرة وانتقال المجتمع العربي من مجتمع تجاري إلى مجتمع زراعي يتميز بسيطرة الأشراف على الأراضي الزراعية الواسعة على حساب عامة الناس وهو ما أدى إلى ظهور بعض الثورات التي تنادي بالعدالة والمساواة وتخفيف الضرائب على الفلاحين وتوزيع الأراضي بطريقة عادلة.

وعرفت هذه الفترة كذلك تطورا في النشاط الصناعي و إنشاء الدواوين وصك العملة وكذلك تنظيم التجارة ،حيث نمت المدن في العهد العباسي ونشطت التجارة بشكل كبير وظهرت فئة الرأسماليين وشركات المساهمة كما تميزت هذه الفترة بتدخل الدولة في توجيه الاقتصاد، حيث كانت تشرف على الأسواق من خلال مراقبة الموازين وأدوات الكيل بالإضافة إلى جمع الضرائب التي كانت تفرض على التجار مع ترك الحرية المهنية للصناع

4 - المرحلة الرابعة :مرحلة الانهيار:

في هذه المرحلة عرفت الساحة السياسية العربية تراجعا في مركز الخلافة الإسلامية مع دخول الحماة الأجانب لها وذلك مع بداية القرن 10 م وتميزت هذه المرحلة بانتشار النظام

الإقطاعي على جميع الأصعدة مع سيطرة الإقطاع العسكري على أموال المجتمع وإهماله بمقومات الزراعة والإنتاج بصفة عامة وهذا ما أدى إلى تدهور وضعية الفلاحين نتيجة الضرائب الباهظة التي كانوا يدفعونها للقادة العسكريين فتشتت المجتمع من جديد إلى قبائل متناحرة كانت هدفا للحملات الصليبية التي تمثل بذور الاستعمار الحديث وبذلك عرفت الخلافة العباسية نهايتها عندما دخل المغول بغداد في 1335م وبالتالي انهارت الحضارة الإسلامية ولم تعد قوة سياسية ولا اقتصادية وتوسع الإقطاع العسكري أكثر فأكثر وتركزت الثروة في أيدي الحكام وأصبحت الدولة عاجزة عن أداء دورها الاقتصادي والاجتماعي.